باب الحمامةِ والثعلبِ ومالكِ الحزينِ[1]

قالَ دَبْشَليمُ المَلِكُ لِبَيْدَبا الفيْلسوفِ: قدْ سَمِعْتُ هذا المثَلَ فاضرِبْ لي مثَلاً في شأنِ الرَّجُلِ الذي يَرَى الرَّأي لغيرِهِ ولا يَراهُ لنفْسهِ.

قالَ الفيْلَسُوفُ: إنَّ مثَلُ ذلكَ مثَلُ الحَمامةِ والثعْلبِ ومالكِ الحَزينِ.

قال الملِكُ: وما مَثَلُهُنَّ؟

قال الفيْلَسُوفُ: زعَمُوا أنَّ حَمامةً كانتْ تُفْرِخُ في رَأسِ نَخْلةٍ طويلةٍ ذاهِبَةٍ في السَّماءِ، فكانتِ الحَمامةُ تَشْرَعُ في نقْلِ العُشِّ إلى رأسِ تلْكَ النَّخْلةِ فلا يُمكِنُها أنْ تنَقُلَ ما تَنْقُلَ منَ العُشِّ وتجْعلَهُ تحتَ البَيْضِ إلاَّ بعْدَ شِدَّةٍ وتَعَبٍ ومشَقَّةٍ لطُولِ النَّخْلةِ وسُحْقِها[2] فإذا فرَغَتْ منَ النَّقْلِ باضتْ ثمَّ حَضَنتْ بيْضَها فإذا فَقَّسَتْ وأدْرَكَ فِراخُها جاءَها ثعْلَبٌ قد تَعَهَّدَ[3] ذلكَ منها لوقْتٍ قدْ عَلِمَهُ بقدَرِ ما يَنْهَضُ فِراخُها فيَقِفُ بأصلِ النَّخْلةِ فيَصيحُ بها ويَتوَعَّدُها[4] أنْ يَرْقَى إليْها أو تَلْقيَ إليهِ فِراخَها فتُلْقِيها إليهِ، فبينما هوَ ذاتَ يوْمٍ وقدْ أدرَكَ لها فَرْخانِ إذْ أقبَلَ مالكُ الحزِينُ فوَقَعَ على النَّخْلةِ، فلمَّا رأى الحَمامةَ كئيبةً حَزينةً شدِيدَةَ الهمِّ قال لها: يا حَمامةُ! ما لِي أراكِ كاسِفةَ البالِ، سَيئةَ الحالِ؟

فقالتْ لهُ: يا مالِكُ الحزِينُ إنَّ ثَعلَباً دُهِيتُ بهِ[5]، كلَّما كانَ لي فرْخانِ جاءَني يَتَهدَّدُني ويَصيحُ في أصلِ النَّخْلةِ فأفرَقُ[6] منهُ فأَطرَحُ إليهِ فَرْخَيَّ. قال

---

(١) مالك الحزين: طائر مائي.
(٢) سُحْقها: ارتفاعها.
(٣) تعهد: عرف.
(٤) توعد: هدد.
(٥) دهيتُ به: منيت.
(٦) أفرق: أفزع.

لها مالكُ الحَزينُ: إذا أتاكِ ليَفْعَلَ ما تقُولينَ فقُولي لهُ: لا ألْقي إلَيْكَ فرْخَيّ فأرْقَ إلَيَّ وغَرِّرْ بنفْسِكَ[١] فإذا فعَلْتَ ذلَكَ وأكلْتَ فَرْخَيَّ طِرْتُ عنكَ ونجَوتُ بنفْسي. فلما علمها مالكُ الحزينُ هذه الحيلة، طار فوقع على شاطئ نهر، فأقبَلَ الثعْلَبُ في الوقْتِ الذي عَرَفَ إدراك فرخيها فوقَفَ تحتَ النخْلَةِ، ثمَّ صاحَ كما كانَ يَفْعَلُ فأجابتْهُ الحَمامةُ: بما علمَها مالكُ الحزينُ فقالَ لها: أخبِريني مَنْ عَلّمَكِ هذا؟ قالتْ: عَلّمَني مالكُ الحزِينُ فتوَّجهَ الثّعْلبُ حتى أتَى مالكاً الحزينَ على شاطىءِ النّهْرِ فوَجدَهُ واقِفاً.

فقالَ لهُ الثّعلبُ: يا مالكُ الحزِينُ إذا أتتْكَ الرِّيحُ عنْ يَمينِكَ فأيْنَ تَجْعلُ رأسَكَ؟ قالَ: عنْ شِمالي. قالَ: فإذا أتتْكَ عنْ شِمالكَ أينَ تجْعَلُ رأسَكَ؟ قالَ: أجْعلُهُ عنْ يَمِيني أوْ خَلْفي، قال: فإذا أتتْكَ الرِّيْحُ منْ كلِّ مكانٍ وكلِّ ناحيةٍ أينَ تَجْعلُهُ؟ قالَ: أجعلُهُ تحت جَناحَيَّ. قال: وكيف تَسْتطيعُ أنْ تجْعلَهُ تحتَ جناحَيْكَ؟ ما أراهُ يَتهَيَّأُ لكَ. قالَ: بَلى. قال: فأرني كيْفَ تَصْنَعُ فلَعَمْرِي يا معْشَرَ الطيرِ لقدْ فضَّلَكُنَّ الله علينا إنّكُنَّ تَدْرِينَ في ساعةٍ واحدةٍ مثْلَ ما نَدْرِي في سَنَةٍ، وتَبْلُغْنَ ما لا نَبْلُغُ وتُدْخلْنَ رُؤُوسَكُنَّ تحتَ أجْنِحَتِكُنَّ منَ البَرْدِ والرِّيحِ فهنِيئاً لكُنَّ فأرِني كيْفَ تَصْنَعُ؟ فأدْخَلَ الطّائِرُ رأسَهُ تحتَ جَناحَيْهِ فوَثَبَ عليهِ الثّعلبُ مكانَهُ فأخذَهُ فهَمَزهُ[٢] هَمْزةً دَقَّ عُنُقَهُ[٣] ثمَّ قالَ: يا عدُوَّ نفْسهِ ترَى الرَّأيَ للْحَمامةِ وتُعَلِّمُها الحِيلةَ لنفْسِها وتَعْجِزُ عنْ ذلكَ لِنَفْسِكَ حتى يَتمكَّنَ منْكَ عدُوّكَ ثمَّ قتَلهُ وأكَلهُ.

(١) غَرِّرْ بنفسك: عرضها للهلاك.

(٢) هَمَزَ: ضرب.

(٣) ودَقَّ: كسر.

الخاتمة

فلمَّا انتَهَى المَنْطِقُ بالفيْلَسُوفِ والملكِ إلى هذا الموْضِعِ سكَتَ الملِكُ. فقالَ لهُ الفيْلسُوفُ: أيها الملِكُ عِشْتَ ألفَ سنَةٍ ومُلِّكْت الأقاليمَ السَّبْعةَ وأُعطِيتَ منْ كلِّ شيءٍ سبَباً معَ وُفُورِ سرُورِكَ وقُرَّةِ عينِ رَعِيَّتِكَ بكَ وسُاعدَةِ القَضاءِ والقدَرِ لكَ فإنهُ قدْ كَمُلَ فيكَ الحِلْمُ والعِلْمُ، وذَكَا منكَ العقْلُ والقوْلُ والنِّيةُ، فلا يُوجَدُ في رأيِكَ نَقْصٌ ولا في قوْلِكَ سَقْطٌ ولا عَيْبٌ ولقدْ جَمَعْتَ النَّجْدَةَ[1] واللّينَ فلا تُوجَدُ جَباناً عندَ اللِّقاء، ولا ضَيِّقَ الصدر عندَما يَنُوبُكَ[2] منَ الأشْياءِ.

وقدْ جَمَعْتُ لكَ في هذا الكتابِ شَمْلَ بَيان الأمورِ وشَرَحْتُ لكَ جوابَ ما سَأَلْتَني عنْهُ منها فأبلَغْتُكَ في ذلكَ غايةَ نُصْحي، واجتَهَدْتُ فيهِ برَأيي ونَظَرِي ومَبلَغَ فِطْنتي، الْتِماساً لقضاءِ حَقِّكَ وحُسْنِ النِّيةِ منكَ بإعمالِ الفِكْرَةِ والعقْلِ فجاءَ كما وَصَفْتُ لكَ من النّصيحةِ والموْعِظَة معَ أنهُ ليسَ الآمِرُ بالخيْرِ بأسْعَدَ من المُطيعِ لهُ فيهِ ولا النَّاصِحُ أوْلَى بالنَّصيحةِ منَ المَنْصُوحِ، ولا المُعلِّمُ للْخيْرِ بأسْعَدَ منْ مُتعلِّمهِ منهُ. فافْهَمْ ذلك أيُّها الملكُ! ولا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم.

تم الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً.

---

(١) النجدة: الشجاعة.

(٢) ينوبك: ينزل بك.